

روح المعاني

قطع أطماع عبیده جل وعلا بهذه الآیة فمن رفع بعد هذا حاجة إلى غیره تعالی شأنه فهو جاهل ملوم وكان الجنید قدس سره إذا قرأ هذه الآیة یقول : فأین تذهبون یقال : خزائنه تعالی فی الأرض قلوب العارفين وفيها جواهر الأسرار ومنهم من قال : النفوس خزائن التوفیق والقلوب خزائن التحقیق والألسنة خزائن الذکر إلى غیر ذلك وأرسلنا على القلوب الرياح النفحات الإلهية لواقع بالحكم والمعارف قال ابن عطاء : ریح العنایة تلحق الثبات على الطاعات وریح الکرَم تلحق فی القلوب معرفة المنعم وریح التوکل تلحق فی النفوس الثقة بالله تعالی والإعتماد علیه وكل من هذه الرياح تطهر فی الأبدان زیادة وفي القلوب زیادة وشقى من حرمها فأزلنا من السماء أي سماء الروح ماء من العلوم الحقيقية فأسقيناكموه وأحييناكم به وما أنتم له أي لذلك الماء بخازنین لخلوكم عن العلوم قبل أن نعلمكم وإننا لنحن نحیی القلوب بماء العلم والمشاهدة ونمیت النفوس بالجد والمجاهدة وقيل : نحیی بالعلم ونمیت بالإفناء فی الوحدة وقيل : نحیی بمشاهدتنا قلوب المطيعین من موت الفراق ونمیت نفوس المریدین بالخوف منا وقهر عظمتنا عن حياة الشهوات وقال الواسطي : نحیی من نشاء بنا ونمیت من نشاء عنا وقال الوراق : نحیی القلوب بنور الإیمان ونمین النفوس باتباع الشیطان وقيل وقيل : ونحن الوارثون للوجود والباقون بعد الفناء ولقد علمنا المستقدمین منكم وهم المشتاقون الطالبون للتقدم ولقد علمنا المستأخرین وهم المنجذبون إلى عالم الحس باستیلاء صفات النفس الطالبون للتأخر عن عالم القدس وروضات الإنس ومن هنا قال ابن عطاء : من القلوب قلوب همتها مرتفعة عن الأدناس والنظر إلى الأكوان ومنها ما هي مربوطة بها مقترنة بنجاستها لا تنفک عنها طرفة عین وقيل : المستقدمین الطالبون كشف أنوار الجمال والجلال والمستأخرون أهل الرسوم الطالبون للحطوط والأعراض وقيل : الأولون هم أرباب الصحو الذین يتسارعون إذا دعوا إلى الطاعة والآخرون سكارى التوحید والمعرفة والمحبة وقيل : الأولون هم الآخذون بالعزائم والآخرون هم الآخذون بالرخص وقيل : غیر ذلك وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فيه إشارة إلى عظم شأن آدم علیه السلام حیث أخبر سبحانه بخلقه قبل أن یخلقه وسماه بشرا لأنه باشر خلقه بیدیه ولم یثن سبحانه الید لأحد إلا له وهو النسخة الإلهية الجامعة لصفات الجمال والجلال فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين أضاف سبحانه الروح إلى نفسه تشریفا لها وتعظیما لقدرها لما أنها سر خفی من أسرارہ جل وعلا ولذا قيل : من عرف نفسه عرف ربه وعلق تبارک شأنه الأمر بالسجود بالتسوية والنفخ لما أن أنوار الأسماء والصفات وسناء سبحات الذات

إنما تظهر إذ ذاك ولذا لما تم الأمر وجلدت النسخة فظهرت أنوار الحق وقرئت سطور الأسرار
استصغروا أنفسهم فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس لما أعمى الله تعالى عينه عن مشاهدة
ما شاهدوه أبى أن يكون من الساجدين ولو شاهد ذلك لسجد كما سجدوا قال لم أكن لأسجد لبشر
خلقته من صلصال من حمإ مسنون غلط اللعين في زعمه أنه خير من آدم عليه السلام ولم يخطر
في باله أيضا أن المحب الصادق يمثل أمر محبوبه كيف كان ومن هنا قيل : لو قال تيهاقف
على جمر الغضى لوقفت ممثلا ولم أتوقف وقال بعض أهل الوحدة : إن الملعون ظن أنه مستحكم
في توحيده حيث لم يسجد لغيره تعالى وقد أخطأ